خطبة الأسبوع

فُرَصٌ لا تُعَوَّض

إعداد: قناة الخطب الوجيزة
https://t.me/alkhutab

الخُطْبَةُ الأُوْلَى

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ونَتُوبُ إِلَيه، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْد: فَأُوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ، وَاتِّبَاعِ كِتَابِ اللهِ؛ لِتَنَالُوْا رَحْمَةَ اللهِ! ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّهَا فُرَصٌ لا تُعَوَّضُ، وَغَنِيْمَةٌ لا تُسْتَدْرَك؛ فَالسَّعِيْدُ مَنْ بَادَرَ إِلَيْهَا، وَالمَحْرُومُ مَنْ فَرَّطَ فِيْهَا؛ إِنَّهَا خَمْسُ فُرَصٍ جَمَعَهَا النَّبِيُّ ﷺ في قَوْلِهِ: (اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ!)[1].

وَخُلَاصَةُ الحَدِيْثِ: أَنَّ دَوَامَ الحَالِ مِنَ المُحَالِ، وَالمُبَادَرَة إلى اغْتِنَامِ الأَحْوَال، وَالِاسْتِعْدَاد لِيَومِ المآل، وَالمُسَارَعَة في الخَيْرَاتِ، قَبْلَ

(١) رواه الحاكم (٤ / ٣٤١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٥٥).

وُقُوْعِ المُفَاجَآت!

الفُرْصَةُ الأُوْلَى: فُرْصَةُ الشَّبَابِ: فَهِيَ زَهْرَةُ العُمُرِ، وَغَنِيْمَةُ الدَّهْرِ، وَفُرْصَةٌ لا تَتَكَرَّر، وَفِرَاقُهَا أَلَمٌ لا يُتَصَوَّر! قال تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾. قال بَعْضُ المُفَسِّرِيْنَ: (الطَّيِّبَاتُ: هِيَ الشَّبَابُ والقُوَّة!)[1].

وَمُدَّةُ الشَّبَابِ قَصِيْرَةٌ: كَزَهْرِ الرَّبِيْعِ؛ فَإِذَا يَبُسَ وَابْيَضّ؛ فَقَدْ آنَ ارْتِحَالُه![2] قال ﷻ: ﴿وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

وَالشَّبَابُ والصِّحَّةُ: لا يَمْنَعَانِ مِنْ مَوْتَ الفَجْأَة! يَقُوْلُ ابْنُ الجَوْزِي: (يَجِبُ على مَنْ لا يَدْرِي مَتَى يَبْغَتُهُ المَوْتُ: أَنْ يَكُونَ مُسْتَعِدًّا، ولا يَغْتَرَّ بِالشَّبَابِ والصِّحّةِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ مَنْ يَمُوْتُ الشُّبَّان!)[3].

---

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٢٨١). بتصرف. وانظر: قوت القلوب، أبو طالب المكي (١/ ٣٥١).

(٢) انظر: لطائف المعارف، ابن رجب (٣١٣).

(٣) صيد الخاطر (٢٠٥-٢٠٦). باختصار. وقال أيضًا: (الواجِبُ على العاقِلِ أَخْذُ العُدَّةِ لِرَحِيلِه؛ فإنَّه لا يَعْلَمُ متى يَفْجَؤُهُ أَمْرُ رَبِّه، ولا يَدْرِي متى يُسْتَدْعَى! وإِنِّي رَأَيْتُ خَلْقًا كثيرًا غَرَّهُم الشَّبَاب، وأَلْهَاهُمْ طولُ الأمل!). المصدر السابق (٢٨).

وَالفُرْصَةُ الثَّانِيَةُ: الصِّحَّةُ والقُوَّةُ؛ فالمُؤْمِنُ الفَطِنُ: يُكْثِرُ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ في حَالِ صِحَّتِهِ وَقُوَّتِهِ؛ حَتَّى يُكْتَبَ لَهُ ثَوَابُهُ كَامِلًا في حَالِ مَرَضِهِ! قال ﷺ: (إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ؛ كُتِبَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ، مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَحِيحًا مُقِيمًا!)[1]. قالَ ابنُ عُثَيْمِين: (يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ -ما دَامَ في حالِ الصِّحَّةِ والفَرَاغِ-؛ أَنْ يَحْرِصَ على الأَعْمَالِ الصَّالِحَة، حَتَّى إِذَا عَجَزَ عَنْهَا -لمَرَضٍ أو شُغل-؛ كُتِبَت لَهُ كَامِلَة)[2].

وَالفُرْصَةُ الثَّالِثَةُ: فُرْصَةُ المَالِ، وَبَذْلِهِ في مَرْضَاتِ الله! سُئِلَ ﷺ: (أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟) قال: (أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ: تَخْشَى الفَقْرَ، وَتَأْمَلُ الغِنَى، وَلا تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ؛ قُلْتَ: "لِفُلانٍ كَذَا، وَلِفُلانٍ كَذَا" وَقَدْ كَانَ لِفُلانٍ!)[3].

قال العُلَمَاءُ: (الشُّحُّ غَالِبٌ فِي حَالِ الصِّحَّة؛ فَإِذَا تَصَدَّقَ كَانَ أَصْدَقَ فِي نِيَّتِهِ، وَأَعْظَمَ لأَجْرِهِ، بِخِلَافِ مَنْ أَشْرَفَ عَلَى المَوْت،

---

(١) رواه البخاري (٢٩٩٦).

(٢) شرح رياض الصالحين (٢/ ١٨٩).

(٣) رواه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (١٧١٣).

وَرَأَى مَصِيرَ المَالِ لِغَيْرِهِ!)[1].

وَالمُرَادُ مِنَ المَالِ: إِنْفَاقُهُ فِي العُمُرِ؛ فَإِذَا أُنْفِقَ العُمُرُ فِي تَحْصِيلِ المَالِ؛ فَاتَ المَقْصُودَانِ جميعًا![2] ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: (هُوَ الرَّجُلُ المُؤْمِنُ إِذَا نَزَلَ بِهِ المَوْتُ، وَلَهُ مَالٌ لَمْ يُزَكِّهِ، وَلَمْ يُعْطِ حَقَّ اللهِ فِيهِ؛ فَيَسْأَلُ الرَّجْعَةَ عِنْدَ المَوْتِ؛ لِيَتَصَدَّقَ مِنْ مَالِهِ وَيُزَكِّي!)[3].

الفُرْصَةُ الرَّابِعَةُ: فُرْصَةُ الفَرَاغِ! فَهِيَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، لا يَعْلَمُ قَدْرَهَا إِلَّا أَقَلُّ القَلِيلِ! قال ﷺ: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ)[4]. يقولُ بَعضُ العُلَمَاءِ: (رَأَيْتُ عُمُومَ الخَلَائِقِ يَدْفَعُونَ الزَّمَانَ دَفْعًا عجيبًا: إِنْ طَالَ الليلُ؛ فَبِحَدِيثٍ لا يَنْفَعُ، وإِنْ طَالَ النَّهارُ؛ فَبِالنَّومِ! ورَأَيْتُ النَّادِرِينَ قَدْ فَهِمُوا مَعْنَى

---

(١) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٢٣).

(٢) انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي (١٨١).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٤١٢).

(٤) رواه البخاري (٦٤١٢).

الوُجُوْدِ، فَهُمْ فِي تَعْبِئَةِ الزَّادِ، وَالتَّأَهُّبِ لِلْرَّحِيْلِ؛ فَاللهَ اللهَ فِي مَوَاسِمِ العُمُرِ، وَالبِدَارَ البِدَارَ قَبْلَ الفَوَاتِ!)[1].

وَالفُرْصَةُ الخَامِسَةُ: فُرْصَةُ الحَيَاةِ؛ فَالعَبْدُ مِنْ حِيْنِ اسْتَقَرَّتْ قَدَمُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيا؛ فَهُوَ مُسَافِرٌ إلى رَبِّهِ؛ وَمُدَّةُ سَفَرِهِ: هِيَ حَيَاتُهُ وَوَقْتُهُ!

قال الحَسَنُ: (يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ؛ كُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ، ذَهَبَ بَعْضُكَ!)[2].

وَكَانَ السَّلَفُ يَغْتَنِمُونَ حَيَاتَهُمْ، وَيَعْمُرُوْنَ أَوْقَاتَهُمْ، فِي جَمْعِ الحَسَنَاتِ، وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ؛ لِلْوُصُوْلِ إلى أَعْلَى الجَنَّاتِ! قَالَ الحَسَنُ البَصْرِي: (أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا، كَانُوا عَلَى أَوْقَاتِهِمْ أَشَدَّ مِنْكُمْ حِرْصًا على دَرَاهِمِكُمْ)[3]. قالَ عَبْدُالرَّحْمَن بنُ مَهْدِيّ: (لَوْ قِيْلَ لِحَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ: إِنَّكَ تَمُوْتُ غَدًا؛ مَا قَدِرَ أَنْ يَزِيْدَ فِي العَمَلِ شَيْئًا!).

---

(١) صيد الخاطر (١٥٧). بتصرُّف

(٢) الزهد، الإمام أحمد (١٥٨٦).

(٣) موارد الظمآن، عبدالعزيز السلمان (٤/ ٦٢٦).

قال الذَّهَبِيُّ: (كَانَتْ أَوْقَاتُهُ مَعْمُوْرَةً بِالتَّعَبُّدِ وَالأَوْرَادِ)[1].

أَقُوْلُ قَوْلِي هَذَا، وَاسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوْهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم.

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٧).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الحَمْدُ للهِ عَلَى إِحْسَانِه، والشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيْقِهِ وَامْتِنَانِه، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُه.

عِبَادَ اللهِ: كُلُّ مَنْ فَرَّطَ فِي حَيَاتِهِ؛ سَيَنْدَمُ عِنْدَ مَمَاتِهِ! وَيَتَمَنَّى لَحْظَةً -وَلَوْ يَسِيْرَةً- لِيَسْتَدْرِكَ مَا فَاتَ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ![1] ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

قالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (إِذَا فُتِحَ لِأَحَدِكُمْ بَابُ خَيْرٍ فَلْيُسْرِعْ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ!)[2].

****

* اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ والْمُسْلِمِينَ، وأَذِلَّ الشِّرْكَ والْمُشْرِكِيْن.

* اللَّهُمَّ فَرِّجْ هَمَّ المَهْمُوْمِيْنَ، وَنَفِّسْ كَرْبَ المَكْرُوْبِين.

* اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا، وأَصْلِحْ أَئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُوْرِنَا، وَوَفِّقْ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٥٧).

(٢) حلية الأولياء، أبو نعيم (٥/ ٢١١).

وَلِيَّ أَمْرِنَا وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لما تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِمَا لِلْبِرِّ والتَّقْوَى.

* عِبَادَ الله: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

* فَاذْكُرُوا اللهَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوْهُ على نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

* * * *

إعداد: قناة الخطب الوجيزة
https://t.me/alkhutab